سعادة الدنيا والآخرة

جئنا إلى الدنيا بأمْر الله، وسنخرج منها يوماً كما جئنا، وكما أننا لم نَعْلمْ ساعةَ المجيء، كذلك لا نعلمُ ساعةَ الخروج ﴿ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ (١)

وفي مجيئنا إلى الدنيا امتحان واختبار، وبعد خروجنا منها حسابٌ وجزاء ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾ ﴾ (٢)

فسعادة الآخرة تتوقف على الإيمان والعمل الصالح في الدنيا ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ ﴾ (٣)

لذا كان لفترة الحياة الدنيا التي نحياها شأنُها وخطرُها؛ لأن عليها يتوقف ما بعدها ﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾ (٤)

---

(١) لقمان : من الآية ٣٤.

(٢) آل عمران : ٣٠.

(٣) الكهف : ٣٠.

(٤) النازعات : ٣٤-٤١.

مرحلة الحياة الدنيا لها شأنها وخطرها. والذين يراهنون إليها وينسون غدهم يُعرِّضُون أنفسهم لعذاب الهون، ويندمون حيث لا ينفع الندم ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّآ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ (١)

ولذا فإن الإنسان - دائماً - في حاجة إلى أن يُراجعَ نفسه؛ حتى لا تفلتَ أيامُ العمر دُونَ أن يتزوَّد بالباقيات الصالحات ﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾ ﴾ (٢)

ومراجعة النفس أن توزن بميزان؛ حتى لا يخدع الإنسان. وكم من ناس ﴿ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ ﴾ (٣)

وميزان الحقِّ في عملك أن تزن الأمور بمرضات ربك لا بهوى نفسك. فكلُّ ما كان طاعة لله فعجِّل به، وما كان معصية فابتعد عنه، فإن الله يغار وغيرةَ الله أن يأتي المرءُ ما حرَّم اللهُ عليه.

---

(١) المؤمنون : ٩٩- ١٠٣.

(٢) الكهف : ٤٦.

(٣) الكهف : من الآية ١٠٤.

في الحديث المتفق عليه عن عقبةَ بن عامر ﷺ أن رسول الله ﷺ خَرَجَ إلى قَتْلَى أحدُ فَصَلَّى عليهم بعد ثمان سنين كالمودع للأحياء والأموات، **ثُمَّ طَلَعَ الْمِنْبَرَ فَقَالَ: « إِنِّي بَيْنَ أَيْدِيكُمْ فَرَطٌ، وَأَنَا عَلَيْكُمْ شَهِيدٌ، وَإِنَّ مَوْعِدَكُمْ الْحَوْضُ، وَإِنِّي لأَنْظُرُ إِلَيْهِ مِنْ مَقَامِي هَذَا، وَإِنِّي لَسْتُ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا، وَلَكِنِّي أَخْشَى عَلَيْكُمْ الدُّنْيَا أَنْ تَنَافَسُوهَا. قَالَ: فَكَانَتْ آخِرَ نَظْرَةٍ نَظَرْتُهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ »** (١)

وفي رواية: **« وَلَكِنِّي أَخْشَى عَلَيْكُمْ الدُّنْيَا أَنْ تَنَافَسُوا فِيهَا وَتَقْتَتِلُوا، فَتَهْلِكُوا كَمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ »** قَالَ عُقْبَةُ: **فَكَانَتْ آخِرَ مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْمِنْبَرِ.** (٢)

وفي رواية قال: **« إِنِّي فَرَطٌ لَكُمْ، وَأَنَا شَهِيدٌ عَلَيْكُمْ، وَإِنِّي وَاللَّهِ لأَنْظُرُ إِلَى حَوْضِي الآنَ، وَإِنِّي أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِ الأَرْضِ، أَوْ مَفَاتِيحَ الأَرْضِ، وَإِنِّي وَاللَّهِ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا بَعْدِي، وَلَكِنْ أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنَافَسُوا فِيهَا »** (٣)

إن موعدنا مع رسول الله ﷺ الحوض، فلنعدَّ لهذا اللقاء طُهْرَ القلب واللسان وصالحَ الأعمال. **« وإني فَرَط لكم وأنتم لاحقون بي. ألا فإن موعدكم الحوض ألا فمن أحبَّ أن يَرِدَهُ عليَّ غداً فليكفف يده ولسانه إلاَّ فيما ينبغي »**

أخي المسلم:

ميزانُ الحقِّ في أمْرك أن تزن الأُمور بمرضاتِ ربك لا بهوى نفسك. ومرضات ربِّك في الإيمان به وطاعةِ أمره.

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه البخاري.

والله – جَلَّ وَعَلاَ – قد أحلَّ الطيبات، وأمر الناس بما يصلح حالهم، وحرَّم الخبائثَ، ونهاهم عما يُفْسِدُ أمرهم. ولا يقبل الله من الأعمال إلا ما كان طيباً. والطيب من الأعمال ما وافق شرعَ الله وكان خالصاً لوجهه. فكُن دائماً حسن الذكر لله في يُسرك وعُسرك، وأحوالك كلِّها؛ فإنك ممتحَن ومختبَر. وكلُّ ما يمر بك من أعراض العُسر واليُسر، والصحة والمرض، والشدة والرخاء، سينتهي وتجد نفسَك أمام إجابتك وعملك ﴿ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ ﴾ (١)

فاجعل إجابتك في اليُسر خالص شكْرٍ وصادق برٍّ، وإجابتك في العسر جميل صبر وحُسن توكل، وفي الأحوال كلها إقامة فرائض وحُسنَ أدائها؛ فإن الله قد طلب منا أعمالاً بالليل لا يقبلها في النهار، وأعمالاً في النهار لا يقبلها في الليل. فكُـــن يقظاً في أداء ما طُلِبَ منك في وقته، ولا تؤجل أو تؤخر؛ فإنك لا تدري متى تُدعى فتجيب ﴿ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ﴾ (٢)، ﴿ فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ أَيْنَ مَا تَكُونُواْ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾ ﴾ (٣)

فاستعن بالله، وتوكل عليه، واعلم أن الله يرضى أن يراك حيث يحب، فكن عند مرضات الله؛ ليستقْم أمْرُك. واعتصم به تحظى بالهداية والتوفيق ﴿ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾ ﴾ (٤)

---

(١) الكهف : من الآية ٤٩

(٢) لقمان : من الآية ٣٤.

(٣) البقرة : من الآية ١٤٨.

(٤) آل عمران : من الآية ١٠١.

أخي المسلم:

إن أمتنا الإسلامية – وهي تنشد مجدها وعزها – تدرك أن السبيل إلى ذلك إيمانها بربها، واعتصامها بكتابه؛ حتى تنهض في جميع المجالات وهي متآخية متعاطفة متراحمةٌ.

فكن – أخي المسلم – عاملاً في تحقيق الغاية، مبتغياً وجه ربك: « **لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ** » [1]، « **ومن لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم** » [2]

اللهم إنا نسألك أن تجمع على الخير والبرِّ قلوبنا، وأن تكتب لأمتنا الإسلامية خير ما ترجوه من نصرٍ وما تنشده من عزٍّ.

✿✿✿

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه الطبراني.

obeikandl.com